الأوامر المتعلقة بالأنبياء في سورة البقرة

-دراسة تحليلية-

الدكتور عماد أكرم كردي
في كلية الإمام الأعظم
رئيس قسم الدعوة والخطابة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الأكرم، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فما زالت المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم تتوالى، وكل باحث يولي أحد جوانب إعجاز القرآن عنايته، وأخذت هذه العناية محاور مختلفة، فتارة ترجع إلى أسلوبه وإعجازه، وأخرى إلى لفظه وأدائه، وتارة إلى كتابته ورسمه، وتارة إلى تفسيره وشرحه وإلى غير ذلك من علومه العديدة، فكان أن خص العلماء كل محور من هذه المحاور بالدراسة والبحث والتحليل تأليفاً أو جمعاً أو إحصاءً أو تصنيفاً، فقدموا ما قدروا عليه، والمسيرة على هذا النمط من الجهد قائمة حتى اليوم، حيثما وجد المعني بالبحث والتقصي العلمي والمعرفي والفني.

وفي هذا الباب من الجهد والسعي إليه، وجدنا أن سورة البقرة قد حفلت بعدد من الأوامر الإلهية المتعلقة ببعض الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وقد حرصت على دراستها باستثناء الأوامر المتعلقة برسول الله محمد ﷺ وذلك لكثرة الأوامر من الآيات المتعلقة به ﷺ، مما يدعو إلى إفراد بحث خاص بخاتم الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

فكان هذا البحث الذي حمل عنوان (الأوامر المتعلقة بالأنبياء في سورة البقرة ـ دراسة تحليلية)، وأهمية العنوان تتأتى من أهمية الموضوع الذي حاولت فيه الربط بين التفسير التحليلي لآيات الأمر في القُرْآن الكَرِيم وبين موجباتها ومقتضياتها.

وقد اقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن أقسمه على أربعة مباحث وخاتمة.

تناولت في المبحث الأول: الأوامر المتعلقة بآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وتناولت في المبحث الثاني : الأوامر المتعلقة بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وتناولت في المبحث الثالث : الأوامر المتعلقة بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وتناولت في المبحث الرابع : الأوامر المتعلقة بالعزير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد اعتمدتُ في تقصي القراءات على كتب القراءات، وفي حال غيبة الوقوف عليها أرجع إلى كتب التفسير وكتب معاني النحو واللغة.

أما منهجي في كتابة البحث فأُلخصهُ بما يأتي:

١ ـ أن أذكر في البدء النص القرآني الخاص بالأمر الرباني لنبيه المخصوص بالأمر ، ثم أذكر سبب نزول ووجه المناسبة الآية إن وجد .

٢ ـ أحلل الألفاظ الغريبة الواردة في الآية .

٣ ـ أذكر القراءات الواردة في الآية ، وركزت على القراءات الصحيحة ، والقراءات الشاذة التي لها ارتباط بموضوع البحث .

٤ ـ بينت بعض الوجوه الإعرابية المختلف فيها .

٥ ـ بينت القضايا البلاغية في الآيات موضوعة البحث .

٦ ـ أوجزت المعنى العام للآيات القرآنية .

٧ ـ بينت في الفوائد ما يتعلق بالآيات من أحكام فقهية بل وأحكام عقدية مهمة ، ودلالاتها على الأمر .

وختاماً ، أقول حسبي شرفاً أني عشت في رحاب القرآن الكريم ، وآمل أن أنتفع به وأنفع ، فقد بذلت ما في وسعي، والله المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

الأوامر المتعلقة بآدم -عليه السلام-

هذا المبحث مخصص للآيات الإلهية الموجهة لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقد قسمته على مطلبين :

- المطلب الأول : الأمر بالإنباء.
- المطلب الثاني : الأمر بسكنى الجنة.

المطلب الأول

أمر آدم بإخبار الملائكة

١ ـ قوله تعالى : (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[١] .

٢ ـ تحليل الألفاظ :

غَيْبَ: الغَيْبُ مَصْدَرُ غاب يغيب ، تقول غابَت الشّمسُ وغَيْرُهَا ، إذا اسْتَتَرَتْ عَنِ العَيْنِ ، يقالُ : غابَ عَنِّي كذا ، واسْتُعْمِلَ في كلِّ غائِبٍ عن الحاسَّةِ وَعمّا يَغِيبُ عن عِلْمِ الإِنْسَانِ بمْعنى الغائبِ ، ويُقالُ للشيءِ : غَيْبٌ وَغائبٌ بكونه بالناس لا باللَّه تعالى فإنه لا يَغِيبُ عنه شيءٌ كما لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرّةٍ والغَيْبُ هنا ما لا يقعُ تحتَ الحَوَاسِّ

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ٣٣ .

وَلاَ تَقْتَضِيه بِدَايَةُ العُقُولِ وإنمَا يُعْلَمُ بخَبرِ الأَنْبِيَاءِ ـ عليهم السلام ـ وَبِدَفْعِهِ يَقَعُ عَلَى الإِنْسَانِ اسمُ الإِلْحادِ(١) .

تُبْدُونَ : بَدَا الشَّيْءُ بَدْواً وَبَدَاءً ، أَيْ : ظَهَرَ ظُهُوراً بَيِّناً ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)(٢)(٣) .

تَكْتُمُونَ : الكِتْمَانُ سَتْرُ الحَدِيثِ ، يقالُ : كَتَمْتُهُ كَتْماً وكِتْمَاناً ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ)(٤)(٥) .

ومعنى الكتم هنا عدم إظهار ما في النفس لأحد ممن كان في الجمع وليس المراد أنهم كتموا الله تعالى شيئاً بزعمهم ، فإن ذلك لا يكون حتى من إبليس(٦) .

٣ ـ القراءات القرآنية :

أَنبِئْهُم :

قرأ ابن عباس ، وابن عامر : (أنبئهِمْ)(٧) .

قرأ ابن عامر أيضاً ، وحمزة ، والداجواني ، وهشام ، والأعمش ، وابن أبي علبة : (أنبيهِم)(٨) .

---

(١) ينظر : المفردات : ٣٦٦ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ٢٧٢ .

(٢) سورة الزمر : من الآية ٤٧ .

(٣) ينظر : المفردات : ٤٠ .

(٤) سورة البقرة : من الآية ١٤٠ .

(٥) ينظر : المفردات : ٤٢٥ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ٣١٢ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ١/ ١٤٩ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٢٨ .

(٧) ينظر : المحتسب : ١/ ٦٦ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٤٩ .

(٨) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢-١٣٣ .

قرأ حمزة ، والحسن ، والأعمش : (أنبيهُم)[١] .

قرأ ابن كثير ، والقواس ، والحسن ، والأعرج : (أنبِهِم)[٢]

قرأ الجمهور(أنبئْهُم) بالضم مع تحقيق الهمزة وحجتهم أنهم حملوا ضم الهاء على الأصل إذ الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة ، وإنما تكسر الهاء إذا وليها كسرة أو ياء نحو إليهم وعليهم[٣] .

إِنِّي أَعْلَمُ : قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير : (إِنِّيَ أعلم)[٤]

الأصل في الياء التي في (إني) أن تحرك بالفتح لأنها اسم مضمر على حرف واحد فتحرك مثل الكاف التي في (إنك) فمن حركها حركها على الأصل ومن سكنها استثقل حركة الياء بعد الكسر[٥] .

٤ ـ بعض الأوجه الإعرابية :

فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ : عطف على جملة محذوفة والتقدير : فانبأهم بها فلما أنبأهم .. الخ وحذفت لفهم المعنى[٦] .

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ : الظاهر عطفه على الأول فهو داخل معه تحت ذلك القول ، ويحتمل أن يكون عطفاً على جملة: (ألم أقل) فلا يدخل حينئذ تحته .

---

(١) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ١٣٣ ؛ غيث النفع : ١٠٦ .

(٢) ينظر : المحتسب : ١/ ٦٦ .

(٣) ينظر : السبعة : ١٥٤ .

(٤) ينظر السبعة : ١٩٦ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٠ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١ / ٥١ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٤٩ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٢٨ .

ويجوز أن يكون (أعلم) فعلاً كما كان ما قبله في موضع نصب به ، ويجوز أن يكون اسماً بمعنى عالم، فتكون (ما) في موضع خفض بإضافة (أعلم) إليها ، كما يضاف اسم الفاعل لكنه لا ينصرف فتكون (ما) في موضع نصب[١] .

٥ ـ القضايا البلاغية :

أ ـ الإيجاز[٢] في الآية ، إذ كان الظاهر : أعلم غيب السموات والأرض وشهادتهما ، وأعلم ما كنتم تبدون وما كنتم تكتمون وما ستبدون وتكتمون إلا أنه سبحانه اقتصر على غيب السموات والأرض، لأنه يعلم منه شهادتهما بالأولى ، واقتصر من الماضي على المكتوم، لأنه يعلم منه البادي كذلك ، وعلى المبدأ من المستقبل لأنه قبل الوقوع خفي فلا فرق بينه وبين غيره من خفياته[٣] .

ب ـ تغيير الأسلوب : حيث لم يقل : (وتكتمون) لعله لإفادة استمرار الكتمان ، فالمعنى أعلم ما تبدون قبل أن تبدوه وأعلم ما تستمرون على كتمانه[٤] .

ج ـ وتضمنت الآية الطباق ، وهو في قوله السموات والأرض وبين تبدون وتكتمون[٥] .

د ـ إظهار الأسماء في موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها مع الإشارة إلى أنه

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٥١ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٤٩ الدر المصون : ١/ ١٨٥ .
(٢) هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف . ينظر : العمدة في محاسن الشعر : ١/ ٢٥٠.
(٣) ينظر : روح المعاني : ١/ ٢٨٨ .
(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ٨٦ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٨٨ .
(٥) ينظر : إعراب القرآن وبيانه ١ / ٨٨ .

عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال[١] .

هـ ـ أبدى سبحانه العامل في (ما تبدون) ... الخ اهتماماً بالإخبار بذلك المرهب لهم[٢] .

٦ ـ المعنى العام :

قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ : نادى سبحانه آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ باسمه العلم كما هو عادته جل شأنه مع أنبيائه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ، ولم يقل سبحانه : أنبئني كما وقع في أمر الملائكة مع حصول المراد معه أيضاً ، وهو ظهور فضل آدم إبانة لما بين الرتبتين من التفاوت ، وإنباء للملائكة بأن علمه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ واضح لا يحتاج إلى ما يجري مجرى الامتحان ، وأنه حقيق أن يعلم غيره ، أو لتكون له عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مِنّة التعليم كاملة حيث أقيم مقام المفيد وأقيموا مقام المستفيدين منه ، أو لئلا تستولي عليه الهيبة فإن إنباء العالم ليس كإنباء غيره[٣] .

أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ : اختلف المفسرون في المقصود من غيب السموات والأرض هنا على أقوال[٤] :

فمن قائل : غيب السموات هو أكل آدم وحواء من الشجرة ، وغيب الأرض قتل قابيل هابيل .

وقيل : الأول ما قضاه من أمور خلقه ، والثاني ما فعلوه فيها بعد القضاء .

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٤٩ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٢٨ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٥١ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٤٩ ،الدر المصون : ١/ ١٨٥ .

(٣) ينظر البحر المحيط : ١ / ١٤٩ ؛ إرشاد العقل السليم : ١/ ٨٦ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٨٨ .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢/ ٢٠٩ ؛ البحر المحيط : ١ / ١٤٩ ؛ روح المعاني :١/ ٢٨٨.

وقيل : الأول ما غاب عن المقربين مما استأثر به تعالى من أسرار الملكوت الأعلى ، والثاني ما غاب عن أصفيائه من أسرار الملك الأدنى وأمور الآخرة والأولى وما أبدوه قبل قولهم : (أَتَجْعَلُ فِيهَا)(٥) وما كتموه قولهم : لن يخلق الله تعالى أكرم عليه منا . وقيل : ما أظهروه بعد من الامتثال . وقيل : ما أسره إبليس من الكبر ، وإسناد الكتم إلى الجميع حينئذ من باب بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم .

٧ ـ الفائدة من النص :

أ ـ لما علّم الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذا السر ، وعرض عليهم ما عرض لم يعرفوا الأسماء ، ولم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للأشياء والشخوص ، وجهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم ، والاعتراف بعجزهم ، والإقرار بحدود علمهم ، وهو ما علمهم ، وعرف آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

فالأمر الإلهي لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معجزة له ، إذ استطاع ما لم يستطعه الملائكة الكرام ، برهاناً على أهليته للاستخلاف ، وحسماً للخلاف في ذلك .

ب ـ استدل بهذه الآية الكريمة على أنه لا يمكن معرفة المغيبات إلا بتعليم من الله تعالى ولا يمكن التوصل إليها من خلال النجوم أو الكهانة أو العرافة(٦) .

❊ ❊ ❊

(٥) سُورَةُ البَقَرَةِ : من الآيَة ٣٠ .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢ / ٢٠٩ .

المطلب الثاني

الأمر بسكنى الجنة

قال تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ {٣٥} فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[١] .

وقوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[٢] .

١ ـ قوله تعالى : (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) .

٢ ـ مناسبة هذه الآية لما قبلها : أن الله لما شرف آدم برتبة العلم وبإسجاد الملائكة له ، امتن عليه بأن أسكنه الجنة التي هي دار النعيم أباح له جميع ما فيها إلا الشجرة[٣] .

٢ ـ تحليل الألفاظ :

" اسْكُنْ السُّكُونُ ثُبُوتُ الشيء بَعْدَ تحرُّكٍ ، وَيُسْتَعْمَلُ في الاسْتِيطَانِ نحوُ: سَكَنَ فلاَنٌ مَكانَ كذا ، أي : اسْتَوْطَنَهُ ، وَاسمُ المكَانِ مَسْكَنٌ وَالجمعُ مَسَاكِنُ ، قال تعالى: : (فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ)[٤] .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَتان ٣٥-٣٦.

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ٣٨ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٥٨ .

(٤) سورة الأحقاف : من الآية ٢٥ .

وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)[١] ، فَمِنَ الأَوَّلِ يُقَالُ : سَكَنْتُهُ ، وَمِنَ الثاني يُقَالُ : أَسْكَنْتُهُ أنا "[٢] .

" وأسكن : أقم ، ومصدره السكنى كالرجعى ، والمعنى راجع إلى السكون ، وهو عدم الحركة. وكان الساكن في المكان للبثه واستقراره فيه غير متحرك بالنسبة إلى غيره من الأماكن »[٣] .

وَزَوْجُكَ : زَوْجُ الـمرأة : بعلها ، وزَوجُ الرجل : امرأته ، كما في هذه الآية ويقال أيضًا : هي زَوْجتُه .

تقول العرب : زوَّجتُهُ امرأةً ، وتزوَّجتُ امرأة ، ولـيس من كلام العرب : تزوَّجتُ بامرأة ؛ أما قوله تعالى : (وزوَّجْناهم بِحُورٍ عِينٍ)[٤] ، أي : قرنَّاهم بهنَّ[٥] .

رَغَداً : الرغد الكثـير .

وعيش رَغَد ورَغِدٌ ورغِيد وراغِد وأَرغدُ، الأَخيرة عن اللحياني : مُخْصِبٌ رفِـيهٌ غَزير . وقوم رَغَدٌ ونسوة رَغَد : مُخْصبون مغزرون .

تقول : رَغِدَ عيشُهم ورَغُد ، بكسر الغين وضمها . و أَرغَد فلان: أَصاب عيشاً واسعاً[٦] . والمعنى هنا : أي واسعاً كثير الاعتناء فيه[٧] .

---

(١) سورة يونس : من الآية ٦٧ .

(٢) المفردات : ٢٣٦-٢٣٧ .

(٣) البحر المحيط : ١/ ١٥٧.

(٤) سورة الدخان : من الآية ٥٤ .

(٥) ينظر : الصحاح : مادة (زوج) ٣/ ١٢٩٦ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ١٥٧ .

(٦) ينظر : الْمِصْبَاح الْمُنِير : ١٤١ ؛ لسان العرب : مادة (رغد) ٣ / ١٨٠.

(٧) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٥٧ .

فَأَزَلَّهُمَا : زالَ يَزُول زَوَالاً زَوِيلاً زُؤُولاً ، وزالَ الشيءُ عن مكانه يَزُول زَوَالاً : أَزاله غيره زَوَّله فانزَال وما زال يَفْعَل كذا وكذا ، وزال : أَي تَحَرَّك ، وزالَ القومُ عن مكانهم إِذا حاصوا عنه وتَنَحَّوْا ، ويَزول : يفارق موضعه الزَّوَّال الذي يتحرَّك في مشيه كثيراً وما يقطعه من المسافة قليل[١] .

مُسْتَقَرٌّ : قَرَّ في مَكانه يَقِرُّ قَرَاراً إذا ثَبتَ ثُبُوتاً جامِداً ، وأَصْلُه مِنَ القُرِّ وهو البَرْدُ وهو يَقْتَضي السُّكُونَ ، والْحَرُّ يَقْتَضي الحَرَكَةَ ، وقولُهُ تعالى : (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)[٢] ، أي : ثَباتٍ[٣]

مَتَاعٌ : الميم والتاء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على منفعة وامتدادِ مُدّةٍ في خيرٍ. منه استمتعت بالشَّيء، والمُتْعة والمَتَاع : المنفعة ، ومتَّعت المطلَّقة بالشَّيء، لأَنَّها تنتفع به ؛ ويقال أَمْتَعْتُ بمالِي، بمعنى تمتَّعت ، ويقولون: مَتَع النَّهارُ : طال ، ومَتَع النّباتُ مُتُوعًا؛ والمتعة: ما تمتعت (به)، والمتاع من أمتعة البيت : ما يستمتع به الإنسانُ في حوائجه ، ومتَّع الله به فلانًا تمتيعًا، و أمتَعَه به إمتاعًا بمعنىً واحد ، أي : أبقاه ليستمتع به فيما أحب من السرور والمنافع[٤] .

٣ ـ القراءات القرآنية :

أ ـ رَغَداً : قرأ إبراهيم النخعي ، ويحيى بن وثاب : (رَغْداً)[٥] وهي لغة تميم إذ

(١) لسان العرب : مادة (زول) ١١/ ٣١٣ .

(٢) سورة إبراهيم : من الآية ٢٦ .

(٣) ينظر : المفردات : ٣٩٧ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ١٧٠ .

(٤) ينظر : المفردات : ٤٦١ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٣٠٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٧ .

تسكن الغين. « وزعم بعضهم أن كل اسم ثلاثي حلقي العين صحيح اللام يجوز فيه تحريك عينه وتسكينها ، مثل: بَحَر وبَحْر، ونَهَر ونَهْر، فأطلق هذا الإطلاق، واعترض على ذلك أبو حيان قائلاً : " بل ما وضع من ذلك على فَعَلَ بفتح العين لا يجوز فيه التسكين نحو: السَّحَر لا يقال فيه السَّحْر، وإنما الكلام في فعل المفتوح الفاء الساكن، العين، وفي ذلك خلاف. ذهب البصريون إلى أن فتح ما ورد من ذلك مقصور على السماع، وهو مع ذلك مما وضع على لغتين، لا أن أحدهما أصل للآخر. وذهب الكوفيون إلى أن بعضه ذو لغتين، وبعضه أصله التسكين ثم فتح . وقد اختار أبو الفتح مذهب الكوفيين "[١] .

ب ـ هَـذِهِ : قرأ ابن محيصن، وابن كثير : (هذي) بياء ساكنة تحذف للساكنين وصلاً، وتكسر الهاء باختلاس وإشباع، وتسكن، ويقال: هذي بالياء، والهاء فيما ذكر وأبدل منها، وقالوا : (ذِ) بكسر الذال، وهي تأنيث ذا، وربما ألحقوا التاء لتأنيث ذا فقالوا ذات مبنية على الكسر[٢] .

ج ـ الشَّجَرَةَ :

قرأ هارون الأعور ، وأبو السمال : (الشِّجَرَةَ) بكسر الشين وهي قراءة بعض العرب تكسر الشين[٣] .

قرأ أبو زيد : (الشَّيَرَةَ) وبعض العرب تبدل الجيم ياء مع كسر الشين وفتحها

(١) البحر المحيط : ١/ ٧٥١ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/ ٢١٧ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٧ ؛ إتحاف فضلاء البشر : ١٣٤ .

(٣) ينظر : المحتسب : ١/ ٧٣ ؛ الكشاف : ١/ ٦٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٧ .

منقول ، وخالف أبو الفتح في كون الياء بدلاً[١] .

د ـ فَأَزَلَّهُمَا وهي قراءة الجمهور بتشديد اللام :

قرأ حمزة ، والأعمش ، والحسن ، والأعرج ، وطلحة ، وأبو رجاء : (فأزَالَهُما)[٢] .

قرأ ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ على وجه التفسير : (فوسوس لهما)[٣] .

وحجة من قرأ بالألَف ولام مخففة أي نحاهما عن حال التي كانا عليها من قول القائل أزال فلان فلاناً عن موضعه إذا نحاهُ عنه ومن قرأ بحذف الألف والتشديد من الزلل أي أوقعهما في الزلل والمراد بها المعصية وهي الأكل من الشجرة ونسب الفعل إلى الشيطان لأنهما زَلاّ بإغواءٍ منه فصار كأنه أزلهما[٤] .

هـ ـ اهْبِطُواْ : قرأ محمد بن مصطفى ، وأبو حيوة : (اهبُطوا) بضم الباء والجمهور على كسرها ، وهي اللغة الفصيحة[٥] .

و ـ هُدَايَ :

قرأ نافع ، والأعرج ، وورش : (هُدَايْ)[٦] .

قرأ عاصم الجحدري ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى أبن عمرو ، وأبو الطفيل : (هُدَيَّ) ، وهي لغة هديل يقلبون الألف إلى ياء ، والياء للنهي لأن شأن ياء الإضافة

---

(١) ينظر : المحتسب : ١/ ٧٣ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/ ٢٣٦ .

(٣) ينظر : الكشاف : ١/ ٦٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٦١ .

(٤) ينظر : حجة القراءات : ٩٤ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٥٥ .

(٦) ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٧٥ ؛ حجة القراءات : ٩٥ .

أن يكسر ما قبلها فجعل قلب الألف ياءً بدل كسرها[١] .

والجمهور على فتح الياء وذلك على الأصل، لأنها اسم مضمر على حرف واحد فتحرك مثل الكاف في أنك[٢] .

ز ـ فَلاَ خَوْفٌ : وهي قراءة الجمهور بالرفع والتنوين .

قرأ يعقوب ، والحسن ، وعيسى الثقفي ، والزهري ، وابن أبي إسحاق : (فلا خوفَ)[٣] .

قرأ ابن محيصن : (فلا خوفُ)[٤]. مبنياً على الفتح على جعل لا للتبرئة وهي أبلغ في النفي[٥]

والمختار هنا قراءة الرفع والتنوين لوجهين :

أحدهما : أنه عطف عليه ما لا يجوز فيه إلا الرفع وهو قوله (ولا هم) لأنه معرفة (ولا) لا تعمل في المعارف ، فالأولى أن يجعل المعطوف عليه كذلك لتتشاكل الجملتان.

والثاني : من جهة المعنى فإن البناء يدل على نفي الخوف عنهم بالكلية وليس المراد ذلك بل المراد نفيه عنهم في الآخرة[٦] .

---

(١) ينظر : المحتسب : ١ / ٧٦ .

(٢) ينظر : الحجة في القراءات : ٩٥ .

(٣) ينظر : النشر : ٢/ ٢١١ .

(٤) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ١٣٤ .

(٥) ينظر : الكشاف ١ / ٢٧٥ ، البحر المحيط ١ / ١٦٩ ، إتحاف فضلاء البشر : ١٣٤ .

(٦) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١ / ٥٤ ، الدر المصون : ١/ ٢٠٠ .

٤ ـ بعض الأوجه الإعرابية :

« اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ : أنت : توكيد للضمير المستكن في (أسكن) ، وهذا أحد المواضع التي يستكن فيها الضمير وجوباً . (وزوجك) : معطوف على ذلك الضمير المستكن ، وحسن العطف عليه تأكيده بـ(أنت) ، ولا يجوز عند البصريين العطف عليه دون تأكيد أو فصل يقوم مقام التأكيد ، أو فصل بلا بين حرف العطف والمعطوف ، وما سوى ذلك ضرورة وشاذ .

وقد روي : قم وزيد ، وأجاز الكوفيون العطف على ذلك الضمير من غير توكيد ولا فصل. وتظافرت نصوص النحويين والمعربين على ما ذكر من أن (وزوجك) معطوف على الضمير المستكن في (اسكن) ، ويكون إذ ذاك من عطف المفردات . وزعم بعضهم أنه لا يجوز إلا أن يكون من عطف الجمل ، التقدير: ولتسكن زوجك ، وحذف : ولتسكن ، لدلالة (اسكن) عليه ، وأتى بنظائر من هذا الباب نحو : (لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ)[١] »[٢] .

رَغَداً : قيل في سبب انتصاب رغداً : إنه نعت لمصدر محذوف تقديره أكلا رغداً. وقيل : هو مصدر في موضع الحال ، وفي كلا الإعرابين نظر .

أما الأول: فإن مذهب سيبويه يخالفه، لأنه لا يرى ذلك وما جاء من هذا النوع جعله منصوباً على الحال من الضمير العائد على المصدر الدال عليه الفعل . وأما الثاني : فإنه مقصور على السماع[٣] .

---

(١) سورة طه : من الآية ٥٨ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/ ٢٧٣ ؛ البحر المحيط : ١ / ١٥٨ ؛ الدر المصون : ١/ ١٨٨-١٨٩.

(٣) البحر المحيط : ١ / ١٥٨ ؛ وينظر : الدر المصون : ١/ ١٨٩ .

٥ ـ المعنى العام :

اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ : توجه الأمر بالسكنى على زوج آدم دليل على أن الجنة كانت موجودة قبله ، وهو قول بعض المفسرين أنها خلقت من وقت علمه الله الأسماء وأنبأهم هو إياها . وعلى هذا القول يتوجه الخطاب على المعدوم ، لأنه في علم الله موجود ، ويكون آدم قد سكن الجنة لما خلقت أمرا معاً بالسكنى ، لتسكن قلوبهم وتطمئن بالقرار في الجنة[١] .

اهْبِطُواْ : اختلف المفسرون في مكان الجنة على أقوال ، واستدل كل فريق بأدلته ، وفيما يأتي ملخص بهذه الأقوال :

قيل : كانت في الأرض ، وبعضهم خصّها بأرض عدن . واستدلوا على ذلك :

إن الهبوط هو الانتقال من بقعة إلى بقعة ، كما في قوله تعالى : (اهْبِطُواْ مِصْراً)[٢] .

لأنها لو كانت دار الخلد لما لحقه الغرور من إبليس بقوله : (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْد وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى)[٣] .

لأن من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ)[٤] .

لأن إبليس ملعون ، فلا يصل إلى جنة الخلد .

لأن دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله : (أُكُلُهَا دَآئِمٌ)[٥] .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١/ ٣٠٨ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٣١١ ؛ البحر المحيط : ١ / ١٥٨ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٦١ .

(٣) سورة طه : من الآية ١٢٠ .

(٤) سورة الحجر : من الآية ٤٨ .

(٥) سورة الرعد : من الآية ٣٥ .

لأنه لا يجوز في حكمته أن يبتدئ الخلق في جنة يخلدهم .

لأنه لا نزاع في أنه تعالى خلق آدم في الأرض ، ولم يذكر في هذه القصة أنه نقله إلى السماء ، ولو كان نقله إلى السماء لكان أولى بالذكر ، لأنه من أعظم النعم[١] .

وعارض ذلك آخرون ، فقالوا : كانت في السماء السابعة لقوله تعالى : (اهْبِطُواْ) ، ثم الهبوط الأول كان من تلك السماء إلى السماء الأولى ، والهبوط الثاني كان من السماء إلى الأرض[٢] .

وقال جمهور العلماء : هي في السماء ، وهي دار الثواب ، واستدلوا على ذلك أن الألف واللام في الجنة لا تفيد العموم ، لأن سكنى جميع الجنان محال ، فلا بد من صرفها إلى المعهود السابق ، والمعهود دار الثواب ، ولأنه ثبت في الصحيح[٣] في محاجة آدم موسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ ، فقال له : يا آدم أنت أشقيت بنيك وأخرجتهم من الجنة ؟ فلم ينازعه آدم في ذلك[٤] .

وقيل : هي السماء وليست دار الثواب ، بل هي جنة الخلد .

وقيل : في السماء جنة غير دار الثواب وغير جنة الخلد . ورد قول من قال : إنها بستان في السماء ، فلم يصح أن في السماء بساتين غير بساتين الجنة[٥] .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١/ ٣٠٨ ؛ جامع البيان : ١/ ٥٢٤ ؛ الكشاف : ١/ ٢٧٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٨ .

(٢) ينظر : المصادر نفسها .

(٣) صحيح البخاري : ٤/ ١٧٦٤ ، رقم (٤٤٥٩) .

(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ١/ ٣٠٨ ؛ جامع البيان : ١/ ٥٢٤ ؛ الكشاف : ١/ ٢٧٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٨ .

(٥) ينظر : المصادر نفسها .

وأجيب عن حجج الذين قالوا أنها في الأرض ، بما يأتي :

إنها محمولة على حالهم بعد دخول الاستقرار والخلود ، لا على دخولهم على سبيل المرور والجواز . فقد صح دخول رسول الله ﷺ الجنة في ليلة المعراج وفي غيرها ، وأنه رآها في حديث الكسوف . وأما دخول إبليس إليها فدخول تسليط لا تكريم ، وذلك إن صح ، والصحيح أنه لم يدخل الجنة بل وقف على بابها وكلمهما ، وأراد الدخول فردته الخزنة ، وقيل: دخل في جوف الحية مستتراً . وأما كونها ليست دار تكليف ، فذلك بعد دخولهم فيها للإقامة المستمرة والجزاء بالأعمال الصالحة . وأما الدخول الذي يعقبه الخروج بسبب المخالفة ، فلا ينافي التكليف بل لا يكون خالياً منه[١] .

٦ ـ الفائدة من النص :

معنى الأمر في الآية إباحة السكنى والإذن فيها ، مثل : (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ)[٢] ، وقوله جل جلاله : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ)[٣] ، لأن الاستقرار في المواضع الطيبة لا تدخل تحت التعبد ، وقيل : هو أمر وجوب وتكليف ، لأنه أمر بسكنى الجنة ، وبأن يأكل منها ، ونهاه عن شجرة واحدة . والأصح أن الأمر بالسكنى وما بعده مشتمل على ما هو إباحة ، وهو الانتفاع بجميع نعيم الجنة ، وعلى ما هو تكليف ، وهو منعه من تناول ما نهى عنه[٤] .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ١/ ٣٠٨ ؛ جامع البيان : ١/ ٥٢٤ ؛ الكشاف : ١/ ٢٧٣ ؛ البحر المحيط : ١/ ١٥٨ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٣) سورة الجمعة : من الآية ١٠ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ١/ ١٥٨

المبحث الثاني

الأوامر المتعلقة بإبراهيم -عليه السلام-

المطلب الأول

استجابة إبراهيم -عليه السلام-

١ ـ قوله تعالى : (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (١) .

٢ ـ مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها :

أ ـ قال تعالى : (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)(٢) .

لما ذكر إمامة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذكر ما يؤتم به فيه وهو سبب اصطفائه وصلاحه وذلك دينه ، حذَّر من معارضته وأنه لا يقدم على هذا إلا من امتهن نفسه واحتقرها واستخف بها ، أي فعل بها ما أدى إلى ذلك وفي ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب(٣) .

ب ـ ثم قال تعالى بعدها : (وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ١٣٠ .

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ١٣١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ١/ ٢٤٤ .

لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ)[١] .

بين لأهل الكتاب أن اتباع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو سنة أنبياء بني إسرائيل ، فلا ينبغي لأهل الكتاب أن يحيدوا عن منهجهم[٢] .

٣ ـ بعض الأوجه الإعرابية :

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ : (إذ) ظرف لـ(اصطفيناه) والمعطوف ليس بأجنبي لأنه لتقدير المتعلق المعطوف تأكيده، لأن اصطفاءه في الدنيا إنما هو للرسالة وما يتعلق بصلاح الآخرة ، فلا حاجة إلى أن يجعل اعتراضاً أو حالاً مقدرة كما قيل به ، أو تعليل له، أو منصوب بـ(اذكر) كأنه قيل : أذكر ذلك الوقت لتقف على أنه المصطفى الصالح ، وجوز جعله ظرفاً لـ(قال) وليس الأمر وما في جوابه على حقيقتهما بل هو تمثيل [٣] .

٤ ـ القضايا البلاغية :

الالتفات في الآية (قال له) (قال أسلمت) مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيه إظهار لمزيد اللطف به والاعتناء بتربيته ، وإضافة الرب في الجواب إلى العالمين للإيذان بكمال قوة إسلامه حيث أتقن حين النظر شمول ربوبيته تعالى للعالمين قاطبة لا لنفسه فقط كما هو المأمور به ظاهرا[٤] .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ١٣٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١/ ٢٤٥.

(٣) ينظر : الكشاف : ١/ ٣١٢ ؛ البحر المحيط : ١/ ٣٩٨ ؛ روح المعاني : ١ / ٣٨٨ .

(٤) ينظر : الدر المصون : ١/ ٣٧٥ ؛ إرشاد العقل السليم : ١/ ١٦٣ ؛ روح المعاني : ١/ ٣٨٨ .

٥ ـ المعنى العام :

اختلف المفسرون في وقت قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فقيل : أُخْطِرَ بباله الدلائل المؤيدة إلى المعرفة ، واستدل بها وأذعن بمدلولاتها إلا أنه سبحانه وتعالى عبر عن ذلك تصويراً لسرعة الانتقال بسرعة الإجابة فهو إشارة إلى استدلاله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالكوكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث كما يشير إلى ذلك قول ابن عباس والحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من أن ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ(١) .

ومن ذهب إلى أنه بعد النبوة قال : المراد الأمر بالطاعة ، والإذعان لجزئيات الأحكام والاستقامة والثبات على التوحيد على حد : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)(٢) ، ولا يمكن الحمل على الحقيقة أعني إحداث الإسلام والإيمان ، لأن الأنبياء عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها ، ولأنه لا يتصور الوحي والإستنباء قبل الإسلام ولكن إذا حمل الإسلام على العمل بالجوارح لا على معنى الإيمان أمكن الحمل على الحقيقة كما قيل به(٣) .

❊ ❊ ❊

(١) ينظر : روح المعاني : ١ / ٣٨٨ .

(٢) سورة محمد ﷺ : من الآية ١٩ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ١٦٣ ؛ روح المعاني : ١ / ٣٨٨ .

المطلب الثاني

إحياء الموتى

١ ـ قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١] .

٢ ـ تحليل الألفاظ :

فَصُرْهُنَّ : أي : أَمِلْهُنّ مِنَ الصَّوْر أي المَيْل.

وقيلَ : قَطِّعْهُنَّ صُورَةً صُورَةً فمعنى فَصُرْهُنَّ إمَّا مِنْ فِعْلِ الأمْرِ صَارَ يَصُور ، أوْ مِنْ صَارَ يَصِيْرُ بِمَعْنَى ضَمَّ أوْ مَالَ ، أي فَأَمِلْهُنَّ واضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ لِتَتَأَمَلَهَا وَتعرفُ أَشْيَاءَها لِئَلا تَلْتَبِسَ عَلَيْكَ بَعْدَ الإِحْيَاء[٢] .

وحكي أبو عبيدة : صُرْت عُنُقَه : أَصُوُرَها، وصرتَها، أَصُيرها أملتُها وقد صور[٣] .

الطَّيْر : أَصلُ الطَّيْر مَصْدر طَارَ يَطِيْرُ طَيْراً مِثلُ بَاعَ يَبِيعُ بَيْعاً ، ثُمّ سَمَّى الجِّنْسَ بِالْمَصْدَرِ ، وَيَجُوز أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ طَيّرًا ، مِثْلُ سَيّد ، ثُمَّ خُفِّفَتْ كَمَا خُفِّفَ سَيّد ، وَيَجُوز أَنْ يَكُونَ جَمعاً مِثلَ تَاجِر وَتُجر ، وَالطّيرُ واقعٌ عَلى الجنسِ ، والواحدُ طائرٌ[٤] .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ٢٦٠ .

(٢) ينظر : المفردات : ٢٨٩ .

(٣) ينظر : الصحاح ٢ / ٧١٨ .

(٤) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١ / ١٤٦ .

وطائر الإنسان عمله الذيُ يقلّده ، وطار القوم نفروا مسرعين واستطار الفجر انتشر[١] .

٣ ـ القراءات القرآنية :

إبْرَاهِيمَ : قرأ هشام وابن ذكوان (إبراهام)[٢] .

أَرِني : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وابن محيصن ، والسوسي (أَرْنِي)[٣] .

فَصُرْهُنَّ :

قرأ حمزة ، ويزيد ، وخلف ، ورويس ، وابن عباس ، وطلحة ، وشيبة ، وابن جبير ، وقتادة ، وعلقمة ، وأبو جعفر ، وابن وثاب ، والأعمش : (فَصِرْهُنَّ) مِنَ الصّرِيرِ أي الصَّوْتِ ومعناه صِحْ بهنَّ. والصِّوَارُ القَطِيعُ مِنَ الغَنم اعْتِباراً بالقطْع نحو الصِّرْمَةِ والقطيعِ وَالفِرْقةِ وسائر الجماعةِ المُعْتَبرِ فيها مَعْنَى القَطْعِ[٤] .

قرأ ابن عباس ، وعكرمة : (فَصُرَّهُنَّ) قيل ذلك لغَة يقالُ صِرتْهُ وَصُرتْه ، وقال بعضهم: صُرْهُنَّ أي صِحْ بهنْ ، وذكَرَ الخَلِيلُ أنهُ يُقالُ عُصْفورٌ صَوَّارٌ وهوَ المُجيبُ إذا دُعِيَ[٥] .

قرأ ابن عباس : (فَصِرَّهُنَّ) ، مِنَ الصَّرِّ أي الشِّدّ[٦] .

---

(١) ينظر : الصحاح ٢ / ٧١٨ ، المصباح المنير : 228 .

(٢) ينظر : الكشف : ١/ ٢٦٣ ؛ غيث النفع : ١٦٩ .

(٣) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ١٤٨ ؛ غيث النفع : ١٦٩ .

(٤) ينظر : السبعة في القراءات : ١٩٠ ؛ الحجة في القراءات السبع : ١٠١ .

(٥) ينظر : المحتسب : ١/ ١٣٦ ؛ البحر المحيط : ٢/ ٣٠٠ .

(٦) ينظر : المصدران أنفسهما .

جُزْءاً :

قرأ عاصم ، وشعبة : (جُزُؤاً)[١] .

قرأ أبو جعفر : (جُزّاً)[٢] .

٤ ـ بعض الأوجه الإعرابية :

(وإذ قال) العامل في إذ محذوف تقديره : اذكر ، فهو مفعول به لا ظرف ، و (كيف تحيي) الجملة في موضع نصب (أرني)، أي : أرني كيفية إحياء الموتى، فـ(كيف) في موضع نصب بـ(حتى). (ليطمئن) اللام متعلقة بمحذوف تقديره سألتك (ليطمئن) والهمزة في يطمئن أصل ووزنه يفعلل ، (من الطير) صفة لـ (أربعة) ويجوز تعليقها بـ(خذ)[٣] .

٥ ـ القضايا البلاغية :

الإيجاز بالحذف ، وقد حذف تتمة القصة ، إذ حكى سبحانه أوامره ولم يتعرض لامتثال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لها ، لأن ذلك مدرك بالبداهة . وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى ، للإيذان بان ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً[٤] .

(١) ينظر : النشر : ٢/ ٢١٦ ؛ إتحاف فضلاء البشر : ١٤١

(٢) ينظر : المصدران أنفسهما .

(٣) التبيان في إعراب القرآن : ١/ ١٧٥-١٧٦ ؛ الدر المصون : ١/ ٦٣٠-٦٣١ .

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ٢٥٧ .

٦ ـ المعنى العام :

اختلف المفسرون في سبب سؤال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى وجوه منها :

أحدهما : أنه رأى جيفة مطروحة في شط البحر فإذا مد البحر أكل منها دواب البحر ، وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت ، وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال إبراهيم (رب أرني كيف تحيي أجزاء الحيوان من بطن السبائع والطيور ودواب البحر فقيل أو لم تؤمن قال بلى ؛ ولكن المطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضرورياً وهذا مروي عن الضحاك والحسن وقتادة وعطاء وابن جريج .

والثاني : أنه عند مناظرته مع نمروذ لما قال (ربي الذي يحيي ويميت) فأطلق محبوساً وقتل رجلاً قال إبراهيم : ليس هذا بإحياء وإماتة وعند ذلك قال (رب أرني كيف تحيي الموتى لتنكشف هذه المسألة عند نمروذ واتباعه وهذا مروي عن محمد بن إسحاق والقاضي .

والثالث : أن الله تعالى أوحى إليه أني متخذ بشراً خليلاً فاستعظم ذلك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال إلهي ما علامات ذلك ؟ فقال علامته أنه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام إبراهيم في درجات العبودية وأداء الرسالة خطر بباله أني لعلي أكون ذلك الخليل فسأل إحياء الميت فقال الله تعالى : " أو لم تؤمن فقال بلى ولكن ليطمئن قلبي " على أني خليل لك وهذا مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وذكر في ذلك ابواب كثيرة[١] .

قالوا : وفي أخذ أربعة من الطير إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف وخسة النفس وبعد الأمل ، والترفع والمسارعة إلى

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٠٠ ، إرشاد العقل السليم ١ / ٢٥٦ .

الهوى الموسوم ، وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان .

وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أو الشرع ، قالوا : وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال إنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه ، وأراه عزيراً بعد أن أماته مائة عام[١] .

ملاحظة :

أضف إلى المعنى العام : عن سؤال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت به فالشك يبعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخِلَّة ؟ والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً[٢] .

٧ ـ الفائدة من النص :

الأمر الإلهي في هذه الآية جاء استجابة لرغبة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وهذا من قبيل إجابة الدعاء ، وقد اتصف هذا الأمر بالإعجاز الذي أُمِر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يكون شاهداً عليه ، ليرى كيف تجري التصريفات الإلهية .

❊ ❊ ❊

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ٢٥٧ ؛ روح المعاني : ٣/ ٢٨.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٩٨ ـ / ٢٩٩ .

المبحث الثالث

الأوامر المتعلقة بموسى -عليه السلام-

١ ـ قال تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[١] .

٢ ـ تحليل الألفاظ :

اسْتَسْقَى : السَّقْيُ والسُّقْيَا أنْ يُعْطِيَهُ مَا يَشْرَبُ ، وَالإسْقَاءُ أن يجْعَلَ لهُ ذلك حتى يتَنَاوَلَهُ كَيْفَ شَاءَ ، فَالإسْقاءُ أبْلَغُ مِنَ السَّقْي لأنَّ الإسْقَاءَ هُوَ أن تَجْعَلَ لهُ مَا يُسْقَى منه وَيَشْرَبَ ، وَالاسْتِسْقاءُ : طَلَبُ السَّقْي أو الاسْقَاء ـ كما في هذه الآية ـ وَالسِّقَاءُ مَا يُجْعَلُ فيه ما يُسْقَى وَأسْقَيْتُكَ جِلْداً أعْطَيْتُكَهُ لتَجْعَلَهُ سِقَاء .

والسِّين سِينُ السُّؤالِ ، مِثْلُ اسْتَعْلَم وَاسْتَخْبَر واسْتَنْصَر وَنَحوُ ذَلِك ، أَيْ : طَلَبَ وَسَألَ السَّقْيَ لِقَوْمِه[٢] .

تَعْثَوْاْ : العَيْثُ وَالعِثِيُّ يَتقَارَبان نحوُ جَذَبَ وجَبَذ ، إلاّ أنَّ العَيْثَ أكثَرُ ما يُقالُ في الفسَادِ الذي يُدْرَكُ حِسًّا ، والعِثِيُّ فيما يُدْرَكُ حُكْماً . يُقالُ: عَثِيَ يَعْثَى عِثِيًّا ، وَعَلَى هذا ما في هذه الاية الشريفة ، وعَثا يَعْثُو عُثُوًّا[٣] .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيَة ٦٠ .

(٢) ينظر : المفردات : ٢٣٥-٢٣٦ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ١٦٩ .

(٣) ينظر : المفردات : ٣٢٢ ؛ لسان العرب : مادة (عثا) ١٥/ ٢٩؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ٢٣٤ .

مُفْسِدِينَ : الفَسادُ خُرُوجُ الشيء عَن الاعْتِدالِ قليلاً كان الخُرُوجُ عنه أو كَثيراً وَيُضادُّهُ الصَّلاحُ ، ويُسْتَعْمَلُ ذلك في النّفْسِ والبدنِ والأشياء الخارجةِ عَنْ الاِسْتِقَامَةِ ، يُقالُ فَسَدَ فَساداً وَفُسُوداً ، وأَفْسَدَهُ غَيْرُه ، وفسد الشيء فسوداً من باب قصد فهو فاسد ، والجمع فسدى والاسم الفساد[١] .

٣ـ القراءات القرآنية :

عَشْرَةَ : قرأ الجمهور بإسكان الشين .

قرأ أبو عمرو ، ومجاهد ، وطلحة ، والأعمش ، والمطوعي ، وعيسى ، ويحيى بن وثاب ، ويزيد ، وابن أبي ليلى ، ونعيم السعدي ، وأبو جعفر : (عَشِرة) بكسر الشين وهي لغة بني تميم[٢] .

قرأ الأعمش ، وابن الفضل الأنصاري : (عَشَرة) ، قال ابن عطية : وهي لغة ضعيفة ، ونص بعض النحاة على الشذوذ ، ويفهم من قول بعضهم أن هذه اللغات في المركب لا في عشرة وحدها ، وعبارات القوم لا تساعده[٣] .

٤ ـ بعض الأوجه الإعرابية المشكلة :

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً: عطف على مقدر ، أي : ضرب فانفلق ، ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار ، ولو كان ينفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة ، وبعضهم يسمي هذه الفاء الفصيحة ويقدر شرطاً ، أي : فإن ضربت فقد انفجرت ، وفي المعنى أن هذا التقدير يقتضي تقدم الانفجار على الضرب إلا أن يقال : المراد فقد

(١) ينظر : المفردات : ٣٧٩ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ٢٨١ .

(٢) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ١٣٧ .

(٣) ينظر : المحتسب : ١/ ٨٥ .

حكمنا بترتب الانفجار على ضربك[١] .

وقيل : لا حذف بل الفاء للعطف و(إن) مقدرة بعد الفاء كما هو القياس بعد الأمر عند قصد السببية والتركيب من قبيل : زرني فأكرمك، أي ضرب بعصاك الحجر ، فإن انفجرت فليكن منك الضرب فالانفجار[٢].

واعترض أبو السعود ، فقال في الأول : إنه غير لائق بجلالة شأن النظم الكريم ، والثاني أدهى وأمر ، والانفجار انصداع شيء من شيء ومنه الفجر والفجور[٣] .

و (من) لابتداء الغاية ، والضمير عائد على الحجر المضروب وعوده إلى الضرب ، و (من) سببية مما لا ينبغي الإقدام عليه ، والتاء في (اثنتا) ويقال : (ثنتا) ، إلا أن التاء فيها ـ على ما في البحر ـ للإلحاق ، وهذا نظير أنبت ونبت ، ولامها محذوفة وهي ياء ، لأنها من ثنيت[٤] .

٥ ـ القضايا البلاغية :

جاء في هذه السورة (انفجرت) ، وفي الأعراف (انبجست)[٥] فقيل في الخلاف بينهما[٦] :

قيل : هما سواء .

---

(١) ينظر : الكشاف : ١/ ٢٨٤ ؛ التبيان في إعراب القرآن : ١/ ٨٥ ؛ الدر المصون : ١/ ٢٣٢ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/ ٧٢ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ١٠٦ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٧٢ .

(٥) سورة الأعراف : من الآية ١٦٠ .

(٦) ينظر : جامع البيان : ٢/ ١٢٩ ؛ الكشاف : ١/ ٢٨٤ ؛ مفاتيح الغيب : ٣/ ٩٦ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٤٢٥ ؛ البحر المحيط : ١/ ٢٣٣ ؛ روح المعاني : ١ / ٢٧١ .

وقيل : بينهما فرق ، وهو أن الانبجاس أول خروج الماء ، والانفجار اتساعه وكثرته.

قيل : الانبجاس خروجه من الصلب ، والآخر خروجه من اللين .

وقيل : إن الظاهر استعمالهما بمعنى واحد ، وعلى فرض المغايرة لا تعارض لاختلاف الأحوال .

في الآية التفات ، إذ تقدم : (فقلنا اضرب) ، ولو جرى على نظم واحد لقال : من رزقنا ، ولو جعل الإضمار قبل (كلوا) مسندا إلى موسى ، أي : وقال موسى كلوا وأشربوا لا يكون فيه ذلك ، والرزق هنا بمعنى المرزوق وهو الطعام المتقدم من المن والسلوى ، والمشروب من ماء[٧] .

قيل في الحكمة من تقسيم الماء على هذا العدد من العيون : إنهم كانوا اثني عشر سبطاً ، وكان بينهم تضاغن وتنافس ، فأجرى الله تعالى لكل سبط عيناً يَرِدُهَا لا يشركه فيها أحد من السبط الآخر ، دفعاً لإثارة الشحناء ، ويشير إلى حكمة الانقسام قوله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) ، وهي جملة مستأنفة مفهمة على أن كل سبط منهم قد صار له مشرب يعرفه فلا يتعدى لمشرب غيره . وإضافة المشرب إليهم لأنه لما تخصص كل مشرب بمن تخصص به ، صار كأنه ملك لهم[٨] .

٦ ـ المعنى العام :

أي اذكروا نعمتنا عليكم ، وأنتم عطاش في التِّيْه ، حين دعانا موسى بضراعة أن نسقي قومه، فقلنا: اضرب بعصاك الحجر، فضرب، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا،

(٧) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١/ ١٠٦ ؛ روح المعاني : ١/ ٢٧١ .

(٨) ينظر : الكشاف : ١/ ٧٢ ؛ مفاتيح الغيب : ١/ ٣٦٦ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٤٢٥ ؛ البحر المحيط : ١/ ٢٣٣ ؛ روح المعاني : ١ / ٢٧١ .

بعدد القبائل، مع إعلام كل قبيلة بالعين الخاصة بها حتى لا يتنازعوا. وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله، ولا تسعوا في الأرض مفسدين[١].

٧ ـ الفائدة من النص :

الأمر الإلهي هنا ، تكليف لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بضرب الحجر بعصاه بناءً على طلب الاستسقاء ، وإنما خصّ به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تكريماً له ، ليكون له معجزة فيه تبكيت لبني إسرائيل حثاً لهم على ترك اللجاج والمعاندة .

❊ ❊ ❊

(١) ينظر : المصادر نفسها .

المبحث الرابع

الأوامر المتعلقة بالعزير -عليه السلام-

١ ـ قال تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـي هَـذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١] .

٢ ـ مناسبة الآية لما قبلها ولما بعدها :

سبق الآية الحديث عن الذي جادل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بشأن إحياء الموتى ، فناسب الحديث هنا كيفية إحياء الموتى ، وكذلك في الآيات التي تلتها من قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحياء الطيور[٢] .

٣ ـ تحليل الألفاظ :

خَاوِيَةٌ : أَصْلُ الخَوَاء الخَلا ، يُقَالُ خَوَى بطنُهُ مِنَ الطعام يخْوِي خَوىً ، وَخَوَتِ الدارُ تَخْوِي خَوَاءً ، وَخَوَى النجمُ وأَخْوَى إذا لم يكنْ منه عِندَ سُقوطِه مَطَرٌ ، تَشبيهاً بذلكَ ، وأَخْوَى أبلغُ مِنْ خَوَى ، كما أَنْ أَسْقَى أبلغُ منْ سَقَى . والتَّخْوِيَةُ: تَرْكُ ما بينَ

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَة ٢٥٩ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١/ ٥٠٥.

الشيئين خالياً. ، ويقال : خوى البيت إذا سقط وخلا فهو خاوٍ[١] .

عُرُوشِهَا : العَرْشُ في الأصْلِ شيءٌ مُسَقَّفٌ ، وَجَمْعُهُ عُرُوشٌ ، كما في هذه الآية ، ومنهُ قِيلَ : عَرَشْتُ الكَرْمَ وعَرَّشْتُهُ إذا جَعَلْتَ لهُ كَهَيْأةِ سَقْفٍ ، وقد يقالُ لذلك المُعَرَّشُ ، وَ اعتَرَشَ العِنَبَ رَكَّبَ عَرْشَهُ[٢] .

يَتَسَنَّهْ : السين والنون والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على زمانٍ . فالسَّنَة معروفة ، وقد سقطت منها هاء يقال : سَنَهَتِ النخلةُ ، إذا أتت عليها الأعوام ؛ وقوله جل ذكره: (فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ) ، أي : لم يصر كالشيء الذي تأتي عليه السنُون فتغيّره[٣] .

نُنشِزُهَا : النَّشْزُ المُرْتَفعُ من الأرضِ ، وَنَشَزَ فلانٌ إذا قَصَدَ نَشْزاً ومنه نَشَزَ فلانٌ عن مَقَرِّهِ نَبا وكُلُّ نابٍ ناشِزٌ ، قال: {وإذا قيل انشزوا فانشزوا} ويُعَبَّرُ عن الإحْيَاءِ بِالنَّشْزِ والإنْشَازِ لكونِهِ ارْتِفَاعاً بَعْدَ اتِّضاعٍ ، كما في هذه الآية[٤] .

٤ ـ القراءات القرآنية :

أَوْ كَالَّذِي : قرأ أبو سفيان بن الحسين : (أوَ كَالّذي مَرَّ) بفتح الواو ، وهي واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام الذي معناه التقرير[٥] .

(١) ينظر : المفردات : ١٦٣ ؛ لسان العرب : مادة (خوى) ١٤/ ٢٤٥ .

(٢) ينظر : المفردات : ٣٢٩-٣٣٠.

(٣) ينظر : المفردات : ٢٤٤ ؛ الْمِصْبَاح الْمُنِير : ١٧٦ .

(٤) ينظر : المفردات : ٤٩٣ ؛ الصحاح : ٢/ ٨٩٦ .

(٥) البحر المحيط : ٢/ ٢٩٠ .

وَهِيَ : قرأت دون نسبة : (وَهْيَ)[١] .

فَانظُرْ : قرأ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (وانظر)[٢] .

إِلَى طَعَامِكَ : قرأ طلحة بن مصرف : (لطعامك)[٣] .

وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ :

قرأ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وهذا شرابك)[٤] .

وقرأ أيضاً : (وهذا شرابك لم يتسنن)[٥] .

وقرأ طلحة بن مصرف : (وشرابك لمائة سنة)[٦] .

قيل له اعْلَمْ)[٧] .

قرأ ابن عباس (نَنْشُرُها) بالنون المفتوحة والرا ، ويحتج لقراءته بقوله تعالى :) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ([٨].

٥ ـ بعض الأوجه الإعرابية :

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ : عطف على قوله: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حاجَّ إبْرَاهِيمَ

(١) غيث النفع : ١٦٩ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٧/ ٣٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٢٩٢ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٩٢ ؛ البحر المحيط : ٢/ ٢٩٢ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ٧/ ٣٥ .

(٦) ينظر : البحر المحيط : ٢/ ٢٩٢ .

(٧) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١/ ١٧٤ .

(٨) سورة عبس : ٢٢. وينظر : المحتسب : ١/ ٧.

فِي رَبِّهِ)[١] وإنما عطف قوله: (أَوْ كالَّذِي) على قوله: (إلى الَّذِي حاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) وإن اختلف لفظاهما ، لتشابه معنييهما ، لأن قوله: (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) بمعنى : هل رأيت يا محمد كالذي حاجّ إبراهيم في ربه ، ثم عطف عليه بقوله : (أَوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ) ، لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه ، وإن خالف لفظه لفظه[٢] .

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن (الكاف) في قوله : (أَوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ) زائدة ، وأن المعنى : ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم ، أو الذي مرّ على قرية . والراجح أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له[٣] .

٦ ـ المعنى العام :

اختلف المفسرون في كثير من المسائل ذات العلاقة بالآية ، كاختلافهم في اسم الذي مر ، أو اسم القرية ، أو ما هو طعامه ، الخ . ولأن أغلب الأقوال لا تستند إلى دليل من كتاب أو سنة ، أعرضت عنها ، واكتفيت بذكر الخلاف في شخص الذي مرّ على القرية ، لعلاقته بموضوع المطلب . وفيما يأتي مجمل هذه الأقوال[٤] :

قال ابن عباس ، وسليمان بن بريدة ، وناجية بن كعب ، وقتادة والربيع ، وعكرمة ، والضحاك : إن الذي مر على القرية هو عزير .

قال وهب بن منبه ، وعبد الله بن عبيد بن عمير ، وعبد الله بن بكر بن مضر : هو

---

(١) سُورَةُ البَقَرَةِ : من الآيَة ٢٥٨ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/ ١٥٧ ؛ التبيان في إعراب القرآن : ١/ ١٧٣ ؛ الدر المصون : ١/ ٦٢١ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ٣/ ٢٧ ؛ التبيان في إعراب القرآن : ١/ ١٧٣ ؛ البحر المحيط : ٢/ ٢٩٢.

(٤) ينظر : جامع البيان : ٣ / ٢٧ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٢٨٨ .

أرمياء وكان نبياً .

وقال ابن اسحاق : أرمياء هو الخضر ، وحكاه النقاش عن وهب بن منبه .

واعترض على ذلك ابن عطية ، لأن الخضر معاصر لموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ وهذا الذي مر على القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما رواه وهب بن منبه(٥) .

وقال القرطبي : إن كان الخضر هو أرمياء ، فلا يبعد أن يكون هو لأن الخضر لم يزل حياً من وقت موسى حتى الآن على الصحيح في ذلك ، وإن كان مات قبل هذه القصة فقول ابن عطية صحيح(٦) .

وحكى النحاس ومكي عن مجاهد أنه رجل من بني إسرائيل غير مسمى ، قال النقاش ويقال هو غلام لوط عَلَيْهِٱلسَّلَامُ .

وحكى السهيلي عن القتبي هو شعيا في أحد قوليه ، والذي أحياها بعد خرابها كوشك الفارسي .

والذي أراه راجحاً ما قاله الطبري : " وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون إرميَا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك . وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش ، ومن كان يكذِّب بذلك من سائر العرب ، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل "(٧) .

---

(٥) المحرر الوجيز : ١/ ٢٥٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٣٨٨ .

(٧) جامع البيان : ٣/ ٢٧ .

٧ ـ الفائدة من النص :

الأمر الإلهي في هذه الآية شبيه بالأمر الذي تلقاه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ، مما يرجح أن المخاطب به هو أحد الأنبياء عَلَيۡهِمۡ ٱلسَّلَامُ بغض النظر عمن هو ، وهنا كما في السابق ، لم يكن للمخاطب بتنفيذ الأمر من حول ولا قوة إلا مراقبة القدرة الإلهية في إحياء الموتى .

❊ ❊ ❊

الخاتمة

بعد هذه الجولة أوجز أهم النقاط الواردة في هذا البحث بما يأتي :

إن الأمر الإلهي لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معجزة له ، إذ استطاع ما لم يستطعه الملائكة الكرام ، برهاناً على أهليته للاستخلاف ، وحسماً للخلاف في ذلك .

لا يمكن معرفة المغيبات إلا بإعلام من الله تعالى ولا يمكن التوصل إليها من خلال النجوم أو الكهانة أو العرافة .

أن الأمر بالسكنى في الجنة وما بعده مشتمل على ما هو إباحة ، وهو الانتفاع بجميع نعيم الجنة ، وعلى ما هو تكليف ، وهو منعه من تناول ما نهى عنه .

قد يأتي الأمر الإلهي إجابة لدعاء ، كما حصل مع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وهذا من الإعجاز ، ليزيد يقينا .

الأمر الصادر لموسى ﷺ بضرب الحجر من قبيل إجابة الدعاء أيضاً ، وفيه إعجاز ، ولكن القصد منه تبكيت لبني إسرائيل حثاً لهم على ترك اللجاج والمعاندة .

الأمر الإلهي الصادر إلى عزير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شبيه بالأمر الذي تلقاه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، مما يرجح أن المخاطب به هو أحد الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بغض النظر عمن هو .

والله ولي التوفيق

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- إِتْحَاف فُضَلاءِ البَشَرِ في القراءات الأربع عشرة المسمى بـ(منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) ، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد ابن مُحَمَّد بن عبد الغني الدمياطي الشَّافِعِيّ الشهير بالبناء ، (ت١١١٧هـ) ، تحقيق : د . شعبان مُحَمَّد إسماعيل ، عالم الكتب بَيْرُوْت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٣- إِرْشَاد الْعَقْلِ السَّلِيم إلى مزايا الْقُرْآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، (ت٩٨٢هـ) ، دار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت بلا تاريخ .
٤- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، دار اليمامة ، بيروت – دمشق، ط ٧، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .
٥- الْبَحْر الْمُحِيط، لأبي عبدالله أثِيْر الدِّين مُحَمَّد بن يوسُف بن علي ابن يوسُف بن حَيَّان الأَنْدَلُسِي ، الشهير بابن حَيَّان وبأَبي حَيَّان ، (ت٧٥٤هـ) ، مطبعة السعادة، مصر ، ١٣٢٩هـ .
٦- التِّبْيَان فِي إِعْرَاب الْقُرْآن ، لأبي البقاء محب الدِّين عبدالله بن أَبي عبدالله الحسين بن أَبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، (ت٦١٦هـ)، تحقيق : علي مُحَمَّد البجاوي ، إِحْيَاء الكتب العَرَبيّة بلا تاريخ .
٧- جَامع الْبَيَان عن تأويل آي الْقُرْآن المعروف بـ(تَفْسِيْر الطَّبَري) ، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزَيْد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطَّبَري، (ت٣١٠هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، بَيْرُوْت،١٤٠٥هـ .

٨- الْجَامع لأَحْكَام الْقُرْآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبدالله شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْح الأنصاري الخَزْرَجي القُرْطُبي ، (ت٦٧١ هـ) تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٢ هـ .

٩- الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبدالله الحسين بن أَحْمَد بن خالويه ، (ت٣٧٠ هـ) ، تحقيق : د . عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بَيْرُوْت ، ط٤ ، ١٤٠١هـ .

١٠- حجة القراءات ، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، (ت٥٩٠هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١١- الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأبي العباس شهاب الدين ابن يوسف بن السمين الحلبي ، (ت٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الشيخ علي بن معوض ، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، وجاد مخلوف جاد ، وزكريا عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

١٢- رُوح المَعَاني في تَفْسِيْر الْقُرْآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثَّنَاء شِهاب الدِّين السيد محمود بن عبدالله الآلُوسي البَغْدَادي ، (١٢٧٠هـ) ، دار إِحْيَاء التُرَاث العَرَبِيّ ، بَيْرُوْت ، بلا تاريخ .

١٣- السبعة في القراءات ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ، (ت٣٢٤ هـ) ، تحقيق : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ .

١٤- الصِّحَاح تَاج اللُّغَة وصحاح العَرَبِيّة ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عبد الغَفُوْر عطار ، دار العلم للملايين ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

١٥- الْعُمْدَة في محاسن الشِّعْر وآدابه ونقده ، لأبي الْحَسَن بن رشيق الْقَيْرَوَانِيّ الأزدي ، (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد محيي الدِّين عبدالحميد ، دار الجيل ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، بلا تاريخ .

١٦- غيث النفع في القراءات السبع ، لعلي النوري الصفاقسي ، (ت١١١٨هـ) ، مطبوع بذيل كتاب سراج القاري المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م .

١٧- الكَشَّاف عن حقائق التَّنْزِيل وعُيُون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمَخْشَرِي الخُوَارِزْمي ، (ت٥٣٨هـ) ، طبعة جديدة حققها وخرّج أحاديثها وعلق عليها على نسخة خطية : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .

١٨- لِسَان العَرَب ، لأبي الْفَضْل جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ط١ ، ١٩٦٨م .

١٩- المُحْتَسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضَاح عنها ، لأبي الفَتْح عُثمان بن جِنِّي ، (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إِحْيَاء التُرَاث الإسلاميّ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٢٠- المُحَرَّر الوَجِيْز في تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز ، المعروف بـ(تَفْسِيْر ابن عطية) ، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، (ت٥٤١هـ) ، تحقيق : عبدالله بن إبْرَاهِيم الأنصاري ، والسيد عبدالعال السيد إبْرَاهِيم ، مؤسسة دار الْعُلُوم ، الدوحة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

٢١- مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع ، المطبوع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠ هـ) ، عنى بنشره برجستراسر ، دار الهجرة ، بلا تاريخ

٢٢- الْمِصْبَاح الْمُنِير فِي غَرِيب الشَرْح الكَبِيْر ، لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ ، (ت٧٧٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ.

٢٣- مَعَانِي الْقُرْآن ، لأبي زَكَرّيا يحْيى بن زِياد الفَرَّاء ، (ت٢٠٧ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد يوسف نجاتي ، ومُحَمَّد علي النَّجّار، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م.

٢٤- مَفَاتِيح الْغَيْب المعروف بـ(التَفْسِيْر الكَبِيْر) ، وبـ(تَفْسِيْر الرازي) ، لأبي عبدالله فَخْر الدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ الْمَذْهَب الرَّازي ، (ت٦٠٦هـ) ، المطبعة البَهِيَّة المصرية ، مصر ، ط٣ ، بلا تاريخ .

٢٥- الْمُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن ، لأبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، أعده للنشر وأشرف عَلَى الطبع : د . مُحَمَّد أَحْمَد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

٢٦- النَّشْر فِي القِرَاءاتِ العَشْرِ ، لأبي الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي الشهير بـ(ابن الجزري) (ت٨٣٣هـ) ، صححه وراجعه علي مُحَمَّد الضباع ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بَيْرُوْت ، لَبْنَان ، ١٩٧٨م .

❊ ❊ ❊